

وهذا يدعونا أيضاً إلى التفكير. فنحن أيضاً، العمال في بناء الكنيسة الحية، قبل أن نُقيم هياكل كبيرة، يجب أن نحفر في أعماقنا وما حولنا، لنزيل كل ما هو هشّ وغير ثابت، حتّى نبلغ الصخرة العارية، صخرة المسيح (راجع متى 7، 24-27). وهذا ما قاله القديس بولس في القراءة الثانية حين قال: "فما من أحدٍ يستطيع أن يصع غير الأساس الذي وُضع، أي يسوع المسيح" (1 قورنثس 3، 11). وهذا يعني أن نعود إليه وإلى إنجيله باستمرار، مُطيعين لعمل الروح القدس. وإلاّ فسنوشك أن نقيم هياكل ثقيلة على أساس ضعيف.

لذلك، أيها الإخوة والأخوات الأعزّاء، لنعمل بجدّ في خدمة ملكوت الله، ولنحذر من التسرّع والسطحية: لنحفر بعمق، متحرّرين من معايير العالم الذي يريد مراراً نتائج فورية، لأنّه لا يعرف حكمة الانتظار. تاريخ الكنيسة الممتدّ على أكثر من ألفي سنة يُعلّمنا أنّه لا يمكن أن نبني إلاّ بالتواضع والصبر، وبمعونة الله، لبناء جماعة إيمان حقيقية، قادرة على نشر المحبة، وتعزيز الرسالة، وإعلان الكلمة، والاحتفال بها، وخدمة ذلك التعلّم الرسولي الذي تمثّل هذه الكاتدرائية كرسية الأول (راجع القديس بولس السادس، صلاة الملاك، 9 تشرين الثاني/نوفمبر 1969).

وفي هذا السياق، يُبهرنا المشهد الذي قدّمه لنا الإنجيل الذي تمّ إعلانه (لوقا 19، 1-10): زكّا، الرجل الغنيّ وصاحب النفوذ، شعر بالحاجة إلى أن يلتقي يسوع. لكنّه أدرك أنّه قصير القامة فلا يستطيع أن يراه، فصعد إلى شجرة، في تصرف غير معتاد وغير لائق لشخص من مكانه، اعتاد أن يحصل على كلّ ما يريد بسهولة، على طاولة الجبابة، حقاً واجباً له. لكن هنا الطريق أطول، والصعود بين الأغصان يعني لزكّا اعترافه بضعفه وحدوده وتخطّيه كبرياءه. وهكذا تمكّن من لقاء يسوع. وقال له يسوع: "يجبُ عليّ أن أقيم اليومَ في بيتك" (الآية 5). ومن هنا، من هذا اللقاء، بدأت حياته الجديدة (راجع الآية 8).

يسوع يغيّرنا، ويدعونا إلى أن نعمل في "ورشة" الله الكبيرة، وهو يَصوغنا بحكمة بحسب مخطّطاته الخلاصية. استُخدمت كثيراً في هذه السنوات صورة "الورشة" لوصف مسيرتنا الكنسية. إنّها صورة جميلة، تعبّر عن النشاط والإبداع والالتزام، وأيضاً عن التعب والمشاكل التي يجب أن نحلّها، وهي أحياناً معقّدة. هذه الصورة تعبّر عن المجهود الحقيقيّ، والملموس، الذي به تنمو جماعاتنا كلّ يوم، في مشاركتها للمواهب، وتحت إشراف الرعاة. وتشهد على ذلك كنيسة روما، خاصّة، في هذه المرحلة التنفيذية للسينودس، حيث ما نضج خلال سنوات من العمل يتطلّب المقارنة والتحقّق "في الميدان". وهذا يتطلّب مسيرة في صعود شاقّ، ولكن يجب ألاّ نياس. بل يجب أن نواصل العمل، بثقة، لكي ننمو معاً.

لم يخلُ تاريخ هذا البناء المهيب الذي نحن في داخله، من لحظات فارقة، وتوقّفات وتعديلات في المشاريع أثناء التنفيذ. ومع ذلك، بفضل مثابرة الذين سبقونا، يمكننا أن نجتمع اليوم في هذا المكان الرائع. يوجد في روما خير كبير ينمو، رغم الجهود الكثيرة. لا ندع التعب يمنعنا من أن نتعرّف عليه ونحتفل به، فنغذي حماسنا ونجدّده. ثم إنّ المحبة التي نعيشها تُكوّن أيضاً وجهنا ككنيسة، لتظهر للجميع بوضوح أكبر أنّها "أمّ"، "أمّ جميع الكنائس"، وأيضاً "أمنا"، كما قال القديس البابا يوحنا بولس الثاني وهو يكلم الأطفال في هذا العيد بالتحديد (راجع كلمة في تدشين بازيليك القديس يوحنا في اللاتران، 9 تشرين الثاني/نوفمبر 1986).

أخيراً، أودّ أن أشير إلى بُعدٍ أساسيٍّ في رسالة الكاتدرائية: الليتورجيا. فهي "القمة التي يرتقي إليها عمل الكنيسة [...] والمنبع الذي تنبع منه كلّ قوتها" (المجمع الفاتيكانيّ الثاني، دستور في الليتورجيا المقدّسة، المجمع المقدّس، 10). وفيها نجد جميع الموضوعات التي أشرنا إليها: نحن بُنيّا هيكلاً لله، ومَسْكِنًا له في الروح، وتلقّى قوّة لنبشّر بالمسيح في العالم (راجع المرجع نفسه، 2). لذلك، يجب الاعتناء بها، في مكان كرسي بطرس، بحيث يمكن أن نقدّمها مثلاً يُحتذى به لشعب الله كلّ، مع احترام القوانين، والانتباه إلى الحساسيات المختلفة للذين يُشاركون، بحسب مبدأ التّأقّف الحكيم (راجع المرجع نفسه، 37-38)، وفي الوقت نفسه الأمانة لأسلوب الرّصانة المهيب الذي يميّز التقليد الرومانيّ، والذي يمكن أن يُفيد كثيراً نفوس المشاركين بشكلٍ فعّال فيها (راجع المرجع نفسه، 14). لنؤلّ اهتماماً خاصّاً حتّى تعبّر بساطة الطقوس هنا عن قيمة العبادة من أجل نموّ جسد الرّبّ كلّ نمواً متناغماً. قال القديس أغسطينس إنّ "الجمال ليس إلّا المحبة، والمحبة هي الحياة" (عظة 365، 1). الليتورجيا هي المجال الذي فيه تتحقّق هذه الحقيقة بأسمى أشكالها، وأتمنّى أن كلّ من يقترب من مذبح كاتدرائية روما يمكنه أن يغادر بعد ذلك وهو ممتلئ بهذه النعمة

© 2025 ناكيتافلا ةرضاح - ةظوفحم قوقحلا عيمج

Copyright © Dicastero per la Comunicazione - Libreria Editrice Vaticana